

تشكلات الحكاية الشعبية عند تولستوي أزمة الصراع بين الـ«هو» و«الأنا العليا» في حكاية «الشيخان»

د.شاهنده الباجوري

مقدمة

تسعى هذه الدراسة للكشف عن تشكلات الحكايات الشعبية عند ليون تولستوي من خلال «الشيخان» إحدى الحكايات الشعبية التي تندرج تحت كتب القراءة الأربعة التي انتهى منها عام 1874م. وجمعت في كتاب واحد عام 1999 تحت عنوان «حكايات شعبية» الأعمال الأدبية الكاملة:

LEONTOLISTOI, Editions RECONTRE, RECOTE POPULAIRE.

وقد انتهى تولستوي من كتابة الجزء الأول من صنيعه الأدبي عام 1869، وأطلق عليه الألفباء «والثاني» «كتب القراءة الأربعة» عام 1974، ثم الجزء الثالث الذي كتبه تولستوي تحت عنوان «حكايات شعبية» عام 1881م، وتم إدارجهم معاً في كتاب «الحكايات الشعبية» لأسباب علمية أكدها ألكسندر سولوفييف - المؤرخ والكاتب الروسي في مقدمة الأعمال الكاملة، وتتلخص في النهج الثنائي الذي اتبعه تولستوي، والذي تهيمن عليه هموم التثقيف، ورغبته الذاتية في مساعدة شعبه فكرياً وأخلاقياً من خلال متن هذا الكتاب.

وكان غرضه الأساسي هو تدريس الحكايات للأطفال للاستفادة من العبرات والعظات التي تتضمنها رمزية تلك الحكايات، فيكون موسوعة حقيقية صغيرة للأطفال بكل الطبقات بدءاً من أطفال الأسرة الإمبراطورية، حتى أبناء الفلاحين. وبالفعل أوصت وزارة التعليم العام الروسية بتدريسه في المدارس الابتدائية، وأثنى عليه النقاد. وتضاعفت الطبعات، ومنذ عام 1900م أصبح الكتاب أكثر رواجاً، وبيعت ملايين النسخ منه. فجسد فيه تولستوي الموروث الثقافي والشعبي، والقيم والعادات والتقاليد للشعب الروسي، ويشير بها إلى فترة من فترات التاريخ لديهم.

وما بين الأمثال والحكم والحكايات التي تبدو بسيطة في أول قراءة لها، لكنها تحمل عمقاً في رمزياتها، تتضح هوة الأزمة التي أرقّت نفس ليون تولستوي والرسالة الأخلاقية التي حملها على عاتقه تجاه مجتمعه، وهنا يكمن دور الأدب.

حاولت الدراسة الإجابة عن عدة تساؤلات تقع جميعها تحت

سؤال البحث الأساسي، وهو: كيف تشكلت بنية الحكاية الشعبية عند تولستوي، وكيف تجلت أزمة الصراع بين الـ«هو» من ناحية، وبين «الأنا العليا» من ناحية أخرى؟ وكيف صاغ تولستوي رسائله الأيديولوجية والتوثيقية والتبليغية على مستوى الحكى الشعبي؟ وكيف كان الراوي نائباً عن الكاتب؟ وكيف تشكل الخطاب على مستوى الزمان والمكان والشخص والصيغة التعددية وصيغ الخطاب الشعبي؟

اعتمدت الدراسة على المنهج البنيوي، وتحديدًا (تطبيقات جيرار جينيت على البنيوية)، «إذ إن السمات الفنية التي نريد أن نرصدها بين الأعمال موضوع الدراسة، والتي سنحللها هي سمات تتعلق بالشكل والبناء»¹.

تنقسم الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة بأهم ما توصلت إليه الدراسة.

المبحث الأول: حكايات تولستوي الشعبية :

يعد كتاب «حكايات شعبية» للكاتب ليون تولستوي من أهم المراحل الإبداعية في حياته، حيث عكست نظراته الفلسفية واللاهوتية، وهمومه تجاه المجتمع الروسي، لا سيما النشء الذي وجه لهم النص الأدبي الذي نحن بصددده، وبعث لهم رسائل تبليغية من خلال الأمثال والأقاصيص، والحكايات التي ينطوي عليها كتابه، وكانت البداية عندما بدأ تولستوي يفكر في كتابة كتاب مخصص للتعليم، لأن مناهج التربية لم تكن ترضيه.

وفي خريف 1861 افتتح ليون تولستوي مدرسة لتعليم الأطفال سبع ساعات يوميًا، لكن العضلة كانت في أن التعليم شفاهيًا لعدم وجود كتب أو حتى دفاتر. واستمر الحال على ذلك حتى انتهى من تأليف كتابه «السلم والحرب» بعد ست سنوات.

وقد تراءت له الفكرة بعد أن التقى بقنصل الولايات المتحدة الأمريكية، فسلمه الأخير كتابًا مؤلفًا خصيصًا للأطفال الأمريكيين، وكان اسمه كتاب القراءة الأول. ومن هنا بزغ في عقله حلمه القديم، وشرع في كتابة مؤلفه، وكرس له كل وقته لمدة عامين. فخرج علينا بالكتاب الأول «الألفباء» والثاني «كتب القراءة الأربعة»، ثم الجزء الثالث الذي كتبه تولستوي تحت عنوان «حكايات شعبية»، ثم أدرجهم معًا في كتاب تحت عنوان «حكايات شعبية».

ينقسم كتاب «حكايات شعبية» إلى عدة أبواب:

أولاً؛ الأمثال: وتتكون من تسعين مثلاً، وهي قصيرة مقتبسة من «إيزوب» مؤلف الأمثال اليوناني الذي كان تولستوي يجله ويقرأ له.

ثانياً؛ الأقاصيص: وهي عبارة عن عشرين أقصوصة شعبية تستلهم الخيال الخرافي والعجائبي.

ثالثاً؛ الأقاصيص الشعرية: وعددها أربع، وهي عبارة عن مقتطفات من أناشيد ملحمة روسية انتقلت من جيل إلى جيل بالرواية الشفهية.

رابعاً؛ الحكايات: تتكون من ثلاث وعشرين حكاية على لسان الحيوانات.

خامساً؛ القصص الحقيقية: عبارة عن ثلاث وعشرين قصة من أشد القصص إثارة للاهتمام، وأهمها: «سجين القوقاز» التي تحتل مكانة كبيرة في «كتب القراءة الأربعة».

سادساً؛ الأوصاف وموضوعات المحادثة: يتكون من خمسة وعشرين موضوعاً تربوياً يتحدث حول الظواهر الفيزيائية مثل الهواء والرطوبة والغازات.

سابعاً؛ الحكايات الشعبية: وتتكون من عشر حكايات، كتبها تولستوي في الفترة من عام (1881-1885) بغرض تربوي أخلاقي لشعبه بكل فنائه العمرية، وتسجيلاً لأمثالهم وحكمهم الشعبية التي زين بها الحكايات التي كتبها، وأشهرها حكاية «ممن يعيش الناس؟» والتي تتناول إحدى الأساطير الشعبية الروسية، و«الشيخان» أكثر الحكايات نجاحاً لاستذكارها الحج إلى القدس، وقد اختارتها الدراسة موضوعاً لها.

المبحث الثاني؛ «الشيخان» أزمة صراع الـ«هو» و«الأنا العليا»:

تحكي حكاية «الشيخان»² عن شيخين انتويا الحج إلى بيت المقدس، أحدهما فلاح غني يدعى «إيفيم شيفيليوف»، والآخر لم يكن غنياً ويسمى «إيليزيه بودروف».

تعطي الأحداث خلفية اجتماعية عن الشيخين، أحدهما لا يشرب الخمر وغني وله تجارة واسعة وبيت وأولاد وأحفاد، تولى رئاسة القرية مرتين وهو إيفيم، والآخر ليس بغني ولا فقير، يشرب الخمر ويتمتع بالحياة، ويغني دائماً، ولديه بيت ميسور وله ولدان؛ أحدهما مسافر والآخر يعيش معه، يصف السرد هيئته بأنه قصير دأكن البشرة، أشعث الذقن، وهو إيليزيه.

2 ليون تولستوي، حكايات شعبية، النسخة الكاملة، حكاية الشيخان، ت: صياح الجهم، لبنان، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1، 1999، ص401.

اتفق الصديقان على الذهاب معًا في رحلة الحج منذ زمن بعيد، لكن إيفيم كان يؤجل دائمًا لكثرة انشغاله بأمور القرية. وفي إحدى المرات اجتمع الصديقان، فقال إليزيه لإيفيم: «يا صاحبي.. متى الوفاء بالندرة؟ فأجابه إيفيم بارتباك: هذه السنة بالضبط من أكثر السنوات أعمالًا لي. فقد بدأت ببناء هذا البيت، وكنت أحسب أنني سأنفق عليه مائة روبل، وها أنا أبدأ بالمائة الثالثة، ولم أنتهِ - لنؤجل السفر للصيف. أجاب إليزيه: برأيي أنه لا يليق بنا أن نتأخر أكثر من ذلك، يجب أن نحج منذ الآن، هذا هو الوقت المناسب، لقد جاء الربيع»³.

وبالفعل سافر الشيخان وودعهما أهل قريتهما، وبدأت الرحلة إلى بيت المقدس. بعد خمسة أسابيع من المشي بليت أحذيتهم، فتوقفا ليشتريا غيرها، ويتزودا بالخبز والمياه بعد أن قطعوا حوالي سبعمائة وثلاثين كم. وبعد أن نفذ الماء طلب إليزيه من إيفيم أن يواصل الطريق، وسيلحق به بعد أن يبحث عن ماء في أي بيت من بيوت القرية.

عند هذه النقطة انقسم السرد، وتفرعت الحكاية الرئيسية إلى حكايتين؛ قصة إيفيم وقصة إليزيه اللذين تفرقا عن بعضهما البعض.

فقد دخل إليزيه أحد البيوت، وكان مطليا باللونين الأسود والأبيض، يعيش أهله في فقر وبؤس شديد، يكادوا يموتون جوعًا، فأعطاهم الأكل الذي اشتراه، وذهب إلى بقال القرية، واشترى لهم من أموال الحج؛ برغلًا وسمنًا ودقيقًا وملحًا، وطبخ لهم، وأنقذهم من الموت الوشيك، ولم يلحق بصديقه وصمم على البقاء لليوم الثاني ليهتم بالبيت الذي نفذ منه كل ما يعين على الحياة، واليوم أصبح أيام كثيرة اشترى لهم كل ما يلزمهم من مؤن حتى استطاع صاحب البيت الشفاء، وعلى الرغم من قرب نفاذ المال، فإنه لم يتركهم، وهنا تجلت الأزمة في داخله، طرفها الأول هو صراع مع الـ«هو» (ID) أي النفس التي تنطوي على مخزن الغرائز، والأخرى مع «الأنا العليا» (superego) المثالية ذات الضمير الأخلاقي التي تنتصر للواجب - حسب نظرية فرويد في تقسيم الشخصية - «يجب على أن أسافر، بقي لي النزر القليل من المال، والقليل جدًا من الوقت، ومع ذلك، فهؤلاء المساكين يثيرون الشفقة، هل يستطيع الإنسان أن يساعد الناس جميعًا؟... عليه أن يسافر، ولكن ترك هؤلاء المساكين أمر لا يغتفر» (ص412، 413).

3 تولستوي، الشيخان، ص402.

وعليه قرر أن يساعدهم بكل ما يستطيع، فقام بشراء حصان وبقرة، وبعد أن اطمئن عليهم وهدأت نفسه غادرهم، وذهب خلف صاحبه إيفيم.

لكنه اكتشف أن النذر اليسير من النقود الذي تبقى معه لن يكفي بقية الرحلة للأراضي المقدسة «لا يمكن عبور البحر بهذا المبلغ، والتسول باسم سفري للمسيح قد يكون إثماً أيضاً، يستطيع صاحبي إيفريم أن يسافر وحده، ولا شك أنه سيشعل لي شمعة، وسيلغى نذري حتى مماتي، الرب رحيم» (ص414)، وهكذا انتصرت أنا العليا صاحبة الضمير عند إليزيه على الـ«هو»، فانتصرت معها الرحمة والواجب، وعاد إليزيه وأخبر أهله بما حدث معه، وعندما علم أهل القرية بما حدث معه سخرُوا منه، قائلين: «انظروا للشيخ الذي بدد ماله عبثاً، ولم يبلغ هدفه وحاجته».

وهنا يلتقط السرد طرف القصة الأخرى، وخط سير إيفيم الذي قلق على صاحبه، وأخذ يبحث عنه لعله فقد، وراح يسأل عنه كل من يراه في طريقه، ولكنه في النهاية اضطر إلى مواصلة الرحلة حتى بيت المقدس. وبعد وقت ليس بالقصير وصل القدس، وبدأ في رحلة الحج، وزار قبر المسيح وكنيسة القيامة، وأكمل مراسم الحج.

وبينما هو يصلي في الكنيسة الصغيرة التي تحتوي على القبر المقدس، رأي مفاجأة «إنه ينظر من فوق الرؤوس، وإذا به يشاهد ويا للأعجوبة! شيخاً قصيراً في ثوب خشن، ورأسه أصلع تماماً يلمع مثل رأس إليزيه بودروف.. فكر أنه يشبه إليزيه، ولكن لا يمكن أن يكون هنا قبلي، فالسفينة التي أبحرت قبلنا بثمانية أيام، والسفينة التي ركبت فيها لم يكن فيها إليزيه.. لقد تفرست في المؤمنين جميعاً.. وعندما أدار الشيخ الليمين، عرفه إيفيم على الفور.. إنه إليزيه» (ص420، 421).

اغتبط إيفيم كثيراً عندما رأى صديق عمره، وتعجب كيف استطاع اللحاق به، وقرر أنه سيلاقيه عند الخروج. وبعد أن أتم صلاته أخذ يبحث عنه طويلاً، فلم يلقه، وبعد القداس فتش عنه في كل مكان حتى المساء، فلم يعثر له على أثر. وفي اليوم الثاني رآه مرة أخرى عند قبر المسيح، وفي اليوم الثالث شاهده في صفوف المؤمنين، وفي كل مرة يحاول الوصول إليه بعد المراسم، فلا يجده. وبقي على هذه الحال ستة أسابيع حتى انتهى ماله، وعاد إلى بيته.

وفي طريق العودة مر على نفس المكان الذي افترق فيه عن صاحبه، حيث أهل القرية البؤساء، لكنه وجد حالهم قد تغير، وعرضوا عليه أن يستضيفوه للعشاء، فوافق وقد قرر أن يسألهم عن إليزيه، وبعد أن

قدموا له اللبن والطعام، شكرهم فقالوا له: «وكيف لا نحسن استقبال الحجاج، ونحن مدينون بالحياة لواحد منهم»، وحكوا له مافعله إليزيه معهم.

ثم عاد إيفيم لبيته وقد مر عام على رحيله، فعرف أن صاحبه رجع قبل الحج بكثير، ولم يصل إلى بيت المقدس، فتعجب كثيراً، وذهب لإليزيه وهو متعجب جداً مما رآه، لكنه لم يخبر صاحبه أنه رآه يحج معه وشاهده بشحمه ولحمه في كل مراسم الحج «وهنا أدرك إيفيم أن الله لا يطلب منا في هذه الدنيا سوى شيء واحد: المحبة والإحسان» (ص 417).

فكانت العظة التي قدمها ليون تولستوي من خلال حكايته؛ أنه بانتصار «الأنا العليا» صاحبة الضمير على غريزة النفس الموجودة في الـ«هو»، وصل الثواب والأجر لصاحبها كإثابة من الله لتلك النفس التي انتصرت في الصراع بالغ الصعوبة داخل كل إنسان، وعندما رجحت كفة المحبة والإحسان، رجعت معها كفة الخير والعمل الصالح، ونال صاحبها ثواب وأجر الحج الذي كان يحلم به طوال عمره بدون أدنى تكبد لمشقته أو عنائه.

المبحث الثالث، تشكلات السرد في حكاية «الشيخان»:

بالنظر إلى حكاية «الشيخان» تتضح الرسائل الأيديولوجية التي تتمثل في موقف ليون تولستوي من ظواهر وقضايا ومشكلات فكرية ثقافية خلقية أو اجتماعية، محلية أو عالمية، معاصرة أو تاريخية، فغالباً ما يفرغ الكاتب رؤيته الأيديولوجية في قلبه الفني «محاولاً إقناع قرائه بها بطريقة غير مباشرة، كما تتضح الوظيفة التبليغية هي الرسالة أو الفكرة الجوهرية العامة التي يسعى إلى تبليغها لجمهور قرائه»⁽⁴⁾. وجمهور الكاتب الذي وجه له هذه الحكاية بصفة خاصة، والكتاب كله بصفة عامة - كان هو النشء لا سيما أبناء الفلاحين وعامة الشعب الذين لم يحصلوا على تعليم كافٍ، وهذا يفسر سبب إطلاق اسم «الألفباء» على الجزء الأول، و«كتب القراءة الأربعة» على الجزء الثاني. فقد أراد تولستوي تحقيق النهج الثنائي من خلال القيم الأخلاقية والرسائل الدينية التي عمد أن يوصلها للقارئ، والتي تتضح في اختياره للحكايات مثل الحكاية التي نحن بصددتها، وذلك من خلال المعنى الأخلاقي الذي يمثله بطل الحكاية «إليزيه» والذي اختار الإحسان وإنقاذ أسرة من الموت جوعاً عن ذهابه إلى الحج الذي عاش عمره كله يحلم به ويخطط له، فقام تولستوي باستخدام الرمزية إلى الخير من خلال شخصية بطله

4 () انظر بعبطيش يحيى، خصائص الفعل السرد في الرواية العربية، الجزائر، كلية الآداب، جامعة منتوري، 2011، ص 15، 16.

«إليزيه» الذي رآه في الحج ومراسمه، ونيته وإنفاق ماله في الإحسان، فأبدله الله بثواب الحج، بعد أن رآه صاحبه في القدس، يؤدي طقوس الحج كاملة، وكأن الكاتب يريد أن يقول في رسالته التبليغية أن روح إليزيه قد حجت بالفعل جزاء له على ما قام به من خير ورحمة وإحسان، وأن مساعدة البشرية بعضهم للبعض هو عند الله خير من الحج.

وقد حرص تولستوي على استلهاهم قصص حكاياته وأمثولاته الشعبية من الكتاب المقدس وحياة القديسين، ثم وجهها إلى النشء الصغير الذي كان مدينًا لهم برسائل أخلاقية ودينية، وكان هذا هو غرض كتابه الرئيسي، فقد كان «الألفباء»، و«كتب القراءة الأربعة» ثمرة اهتماماته التربوية والأخلاقية والوازع الديني الذي انبثق منه هذا العمل.

ومن هنا كان الراوي عليماً؛ أي كلي المعرفة، حيث قام بسبر أغوار النفس البشرية لبطل العمل «إليزيه» و«إيفيم» ونقل لنا الصراع السيكولوجي الذي نشب في نفس كل منهما؛ الأول عندما كان يؤجل رحلته إلى الحج باستمرار حتى ينتهي من أعماله، وينفق على بناء البيوت والمشاريع، لكنه حسم الأمر بعد انتصار الوازع الديني، وقال لنفسه: إنه من الممكن أن يموت في أي وقت، لذا فاختار الحج.

والثاني «إليزيه» الذي قابل في طريقه الأسرة المعدمة، فنشب الصراع الداخلي بين إنقاذهم والتضحية بالحج، أو المضي قدماً في رحلته إلى بيت المقدس وتوفير نقوده، لكنه في النهاية اختار الرحمة والإحسان، ورجحت كفة الأنا العليا. وما بين هذا وذلك اعتمد الكاتب على الراوي العليم؛ أي «عين الطائر» ليكون نائباً عن المؤلف، ويضع أمام المتلقي جميع الخيارات التي خلفها الصراع النفسي للأبطال. وعلى ذلك، كان التبئير؛ أي الرؤية السردية «صفرية»، فلم يركز الراوي مع بطل بعينه، وأهمل البطل الآخر، ولم يبئر حكى أحدهما على الآخر، لكنه اهتم بكل منهما، وخصص لكل منهما نفس المدة السردية والخطابية، فكان الراوي كالإله يرى البطلين من فوق.

ولذا يلاحظ أن الكاتب قد اعتمد على الحوارات الداخلية «الديالوج» التي تطيل مدة السرد زمنياً، فقد شكّلت الحوارات نوعاً من أشكال الهيمنة السردية، فضلاً عن تخللها معلومات ووقائع تنير للمتلقي النقاط المبهمة في الأحداث، وتعرفنا على الشخصيات، كما كشفت عن الصراع والأزمة التي شبت في نفوس البطلين «قال إليزيه لنفسه: هل يستطيع الإنسان أن يساعد الناس جميعاً؟ لقد مضيت أبعد مما ينبغي لك يا صاحبي» إليزيه بودروف»، لقد أضعت بوصلتك « ص 412.

كما تشكل السرد في الحكاية؛ سردًا تناوبيًا، حيث بدأت الحكاية بسرد قصة البطلين، وعند نقطة ما انقسمت الحكاية إلى حكايتين، لكل بطل منهما حكاية، ثم تلاقى الخطابان في نهاية الحكاية. ومن هنا تعددت زوايا المنظور السردية، فكانت حكاية «إليزيه» من زاوية منظوره، وبالمثل كانت حكاية «إيفيم» من زاوية منظوره هو الآخر، كما كانت الإثابة التي أثاب بها الله «إليزيه» جزاء لرحمته وإحسانه من زاوية نظر صديقه حتى يصدق المتلقي ما حدث، لاستحالاته عمليًا.

يلاحظ أيضًا لجوء الكاتب للطابع اللاهوتي، حيث استخدم مصطلحات الحج والقيم الدينية على مدى خط السرد الخطابي (الحج - خادم الله - المؤمنون - الأدعية - حياة القديسين - القديسة صوفيا - قبر السيد المسيح - مريم المصرية - كنيسة يعقوب ...) كما رصد رحلة الحج بكل أماكنها المقدسة وتفاصيلها بوصفها فضاءات حقيقية كاملة تشكل بداخلها الخطاب السردية، وحرص على ذكر طقوسها نوعًا من أنواع الرسائل التوثيقية التي يوثق بها رحلات الحج في الديانة المسيحية.

كما حرص تولستوي على المزج بين أنواع صيغة الحكاية، فلبأ إلى الجمل الفعلية في مواضع حركة الحجاج ورحلتهم الشاقة التي كانت تستغرق أكثر من عام في ذلك الوقت، وبين الجمل الاسمية التي تفيد الثبات والاستقرار بعد إتمام الفريضة الإلهية. والتعددية الصيغية ما بين (هو) و(أنا)، والتي أثرت بدورها اللغة السردية في الصراع بين الـ«هو» و«الأنا العليا» الذي نقله تولستوي بحرفية شديدة للمتلقى الصغير والكبير.

خاتمة

كشفت هذه الدراسة عن مفهوم الـ«هو» و«الأنا العليا» وصراعهما الأزلي داخل النفس البشرية، وكيف كانت تلك النقطة التي انطلق منها تولستوي في حكايته الشعبية «الشيخان»، متمثلة في رسائله الأيديولوجية المعبرة عن رؤيته الفلسفية والفكرية ومعتقداته اللاهوتية والتي أراد زرعها في النشء الروسي وتعليمهم وتثقيفهم، ورسائله التبليغية التي حرص على إرسالها وتوصيلها للمتلقي والتي تتمثل في ضرورة جهاد النفس المؤمنة ضد غرائزها والانتصار للرحمة والإحسان مع البشر جميعاً، ولو على حساب النفس، ورسائله التوثيقية التي تتمثل في إبراز المنحنى التوثيقي لرحلة الحج في الديانة المسيحية. كما انتهت الدراسة إلى أن السرد في الحكاية الشعبية «الشيخان» سرداً تناوبياً، حيث تضمنت الحكاية خطين سرديين متوازيين، ثم تلاقت الحكايتان في نهاية خطاب الحكاية، ولذا فكان هناك منظورين سرديين، يمثلهما بطلا الحكاية.

وكان الرواي عليماً يرى الشخصيات من الداخل ليصف لنا المعركة التي نشبت بفعل الصراع الداخلي بين النفس البشرية وبين الضمير ونداء الواجب، وعليه كان التبئير «صفرياً». كما شكلت الحوارات الداخلية «الديالوج» هيمنة سردية أطالت الزمن الفني للسرد، كما كانت الأماكن المقدسة فضاءات تشكلت بداخلها الأحداث وثق من خلالها الكاتب رؤيته الأيديولوجية ورسائله اللاهوتية، ولذا عجت الحكاية بمفرداتها التي طغت على اللغة الخطابية، كما قام ليون تولستوي بالمزج بين صيغ الخطاب، بنوعيتها؛ الفعلية والاسمية، مما أثرى بدوره السرد، ولجأ إلى التعددية الصيغية وانتقل ما بين ضميري الغائب (هو)، وضمير المتكلم (أنا)، لإبراز هوة الصراع الداخلي للأبطال بين الـ«هو» مخزن الغرائز، و«الأنا العليا» ذات الضمير والواجب، فانتصرت الأخيرة، وبانتصارها تحققت الرحمة والإحسان، فكانت رسالة الكاتب الأيديولوجية والتبليغية.